ابو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) وكتابه " سر الفصاحة"

حيث نصل الى زمن ابن سنان نجد ان النقد الذوقي بدا يفقد قدرته على الصمود في وجه التنظير العلمي لعلم النقد الادبي الذي بدا يتحول الى بلاغة ومجموعة من المصطلحات الدقيقة المجرد.
ورغم ان كتاب سر الفصاحة مازال يقع في مرحلة بين مرحلتين النقدية والبلاغية الا ان اثر المنطق وعلم الكلام كان واضحا في منهج الكتاب فقد نظر ابن سينا فيما نسميه بالادب شعره ونثره فراى ان القصيدة او الرسالة يمكن ان تحلل الى ماياتي:
الجمل المركبة من الفاظ ثم معاني هذه التراكيب وهذه لها شروط لتكون ذات فصاحة وبلاغة وان الجمل تتكون من الفاظ وهذه لها شروط لتكون بليغة.
والالفاظ تتكون من حروف والحروف تتكون من اصوات ولذلك فقد بحث في الصوت والحروف ومخارجها ولعل ابن سنان كان يريد ان يجعل قارئه ملما الماما تاما بكل ما يخص الموضوع الذي بحثه فبدا به من نقطه الصفر.

منهجه وافكاره في الكتاب:

حاول ابن سنان ان يعطينا تعليلا للسبب الذي دفعه الى تاليف كتابه سر الفصاحة فقال : " فاني لما رايت الناس مختلفين في ماهية الفصاحة وحقيقتها اودعت كتابي هذا طرفا من شانها وجملة من بيانها وقربت ذلك على الناظر واوضحته للمتامل "

الاصوات :

يقول عن الاصوات "انها تدرك بحاسة السمع " وقد كانت دراسته للصوت قاصرة لانه بدا فيها جاهلا بان الاصوات تنتقل بواسطة الهواء.

الحروف:

يتحدث عن الحروف واختلافها باختلاف مقاطع الصوت ولذلك فهو يشبه الفم باله موسيقية تختلف انغامها كما اختلفت مجرى الريح فيها.

اللغة وخصائص العربية:

يرى ابن سنان كما يرى كثير من اهل الكلام ان اللغة " مواضعة" ويقصد بها ان وضعت مفرداتها بالاتفاق على مسمى لكل معنى من المعاني وهذا كما يصدق على اللغات الاخرى يصدق كذلك على العربية ايضا ثم يبدا بمقارنة اللغة العربية بغيرها من اللغات من خلال سماعه عن اللغات الاخرى من الذين يعرفونها ويترحمون عنها وكتبوا فيها.

الشكل والمضمون:

الشكل الادبي: وعالج فيه فصاحة اللفظ المفرد واللفظ المركب ثم المحسنات التي تزيد جمال الاسلوب اثرا وقوة.

فصاحة الالفاظ وشروطها :يعرف ان سنان الفصاحة بانها " الظهور والبيان " ثم يميز بين الفصاحة والبلاغة ويرى ان الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ والبلاغة لاتكون الاصف للالفاظ في المعاني فكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغ.

خصائص الاسلوب الادبي الجميل: يضرب ابن سنان عددا من الامثلة والقواعد التي يجب ان يتبعها الاديب ا وان يتجنبها ومنها:

التقديم والتاخير: يرى ان الشاعر او الكاتب ان يتجنب اضطرابترتيب الجملة العربية بحيث لايؤدي هذا الكلام الى فساد معناه.

الاستعارة : يقول " ومن خصائص الاسلوب الجميل " حسن الاستعارة "وهي كثيرة في كلام العرب ولكن كثيرا من الشعراء قد وصعها غير الموضع الذي يليق بها ولعل اشهر الشعراء هو ابو تمام" الحشو: وهذا اذا وقع في الاسلوب الجميل يؤثر في حسنه ويخفض من مرتبته ومن امثلته الحشو ما جاء في بيت ابي تمام

جذبت نداء "غدوة السبت" جذبة فخر صريعا بين ايدي القصائد

"لان قوله "غدوة السبت" حشو لايحتاج اليه"

لكل مقام مقال : يدعو ابن سنان تحت خصائص الاسلوب الجميل الى "وضع الالفاظ موضعها".

الكناية:ويرى ابن سنان ان الاشارة بالكناية تزيده جمالا.

الالفاظ العلمية:ومما يجب ان يتجنبه الاديب ذكر مصطلحات العلوم ومما يعود لغير الادب من الالفاظ مما تشتمل علية الصناعات الاخرى والعلوم البعيدة عن الادب فان ذلك يخل بالاسلوب الحسن الجميل.

اراء متفرقة

القديم والحديث:ناقش ابن سنان قضية القديم والحديث وذكر حجج الرواة القدامى ويقول في شيء من السخرية " زعمت طائفة من جهالهم ان العلة هي مجرد التقدم في الزمان واستمروا في الترتيب فجعلوا الشعراء طبقات بحسب تواريخ اعصارهم"

ويرى ان فضيلة الشعراء القدامى في اللغة والاسلوب لاتجعل شعرهم دائما هو الاحسن . ثم يقول : " اما قولهم ان القدامى لايتكلفون في اشعارهم ويتكلفها المحدثون فما هو الدليل ؟ والاخبار تروي عن اعتناء زهير والحطيئة وغيرهما باشعارهم"

التفضيل بين الشعر والنثر:

يرى ابن سنان ان النقاش في مثل هذا الموضوع نوع من الجدل الذي لايجدي لان لكل من الشعر والنثر حقلا خاصا به لايتعداه.

دستور ثقافة الاديب: يضع ابن سنان منهاجا واسعا وواضحا للثقافة الادبية التي يحتاج اليها الكاتب او الشاعر ويرى ان على الاديب ان يعرف ما ياتي :اللغة ، النحو، العروض.

اين تجد ابن سنان في الساحة النقدية؟

هو ناقد عقلي في هذا الاتجاه يرمي الى تقيد الشاعر فيقول لا تقل الا ما قالوا ولكن يقول لهم أبدعوا بما قلتم فأنها تفرض طوقا فيها نوع من الإجبار لأنه متأثر بالقديم وتعصبه وتأثره بالمنطق وعلم الكلام فهو يهتم بالألفاظ انه شخص محقق وليس مقلد للآراء هو أراد ان يحفظ لنفسه طريق جديدا ورؤية جديدة للتراث القديم بحيث يعشق القديم ولا يرفض الجديد الذي هو في نظره جديد وهو من ضمن القديم .

ولكن برؤية جديدة ويقول ان له رأي خاص بان يطلع على اللغات الأخرى للشعراء غير العرب ويقارن بينهما وبين اللغات المختلفة وبين الشعراء فهو كثيرا ما كان يتوافق مع الجديد او يتعارض مع القديم او يتوافق مع القديم ويتعارض مع الجديد برؤية أخرى .... فهو مدرسة بحد ذاته.

ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) وكتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه اضاءة:

عند مجيء القرن الخامس الهجري اصبح الشاعر تحت هجوم الحلقات الدينية التي نظرت الى الشعر على انه رجس وهذه هي الظاهرة الاولى .اما الظاهر الثانية فهي غلبة نقد الشكل على المضمون ومحاولة تثبيت النقد المصنوع المعقد المعتمد على الحقائق العلمية الجافة دون الاهتمام بالذوق . والظاهر الثالثة هي انحطاط ثقافة اهل الادب لانعدام المشجع الاجتماعي والسياسي لاسباب منها : احطاط السلطة المركزية وكثرة الخلافات التي اثرت على وحدة المجتمع العربي واستقراره وايضا اعتقاد الباحثين ان عصر عمالقة البحث الادبي قد انتهى وان المعرفة قد وصلت منتهاها ولم يبق شيء للبحث او الاكتشاف ويدل على هذا قول القيرواني : " وان قال قائل : مابالكم معشر المتاخرين كما تمادى بكم الزمان قلت في ايديكم المعاني وضاق بكم المضطرب ؟ قلنا : اما المعاني فما قلت غير ان العلوم والالات صعفت "

والذي يلاحظ في كتاب العمدة بشكل بارز ان شخصية الكاتب تكاد خلف النصوص الكثيرة المقتبسة والاقول القديمة المكرورة وما قد يعده الناقد من افكاره ان هو الاحصيلة ثقافته العامة من افكار الآخرين والتي شكلت وجهة نظره في الموضوع النقدي.

يمكن ان تصنف المادة التي وفرها القيرواني في العمدة الى مايأتي :